المحور الأول: الفلسفة أهميتها وصلتها بباقي فروع المعرفة:
المحاضرة الاولى

تمهيد:

لم يرفع الإنسان عن مستوى الحيوان إلا فكره وقوته العاقلة، فالحيوان يرى ويسمع بل ويتذكر، ولكنه لا يستخدم هذه القوى إلا في حاجاته الوقتية؛ أما الإنسان فيرى ظواهر الكون على اختلاف أنواعها فيتصورها ويكوّن له فيها رأيًا، ثم يجتهد في تعرف عللها وعلاقة حقائق الكون بظواهره؛ وهذا طريق فهم الشيء فهمًا واضحًا، فإن فعل هذا قلنا: إنه يتفلسف، ولا نعني بهذه الكلمة إلا أنه يفكر في شيء خاص — ذاتًا كان أو معنى — ويحاول الإجابة على هذه الأسئلة: ما هذا الشيء الذي يبحث فيه عقلنا؟ ما أصله؟ ما علاقته بغيره من الذوات أو المعاني؟

في هذا المحور بالذات، نهدف الى تحقيق العديد من الغايات والأهداف، في مقدمتها التعرف والإطلاع على المعنى أو المفهوم الحقيقي لمصطلح الفلسفة، خاصة وأن تعريف الفلسفة، يعتبر من أشد المسائل المعقدة والصعبة بل وإثاره للجدل كما أننا سنسعى جاهدين في هذا السياق إلى تحديد السياق التاريخي والمعرفي الذي ظهر فيه ذلك المصطلح، ما يعني أن السؤال الفلسفي هو من دون شك سؤال إشكالي تقف خلفه العديد من الأسباب والعلل المنطقية والواقعية .

:

- **ما المقصود بالفلسفة؟**
- **ما هو السياق التاريخي والمعرفي الذي نشات فيه؟**
- **وهل الفلسفة كنشاط فكري انساني تعتبر ضروره حضاريه انسانية أم العكس؟**

1. في دلالة مصطلح الفلسفة:

لا يتضح معنى الفلسفة الا اذا تم النفاذ الى صميم المشكلات الفلسفية، والاطلاع على طرق الفلاسفة في التفكير فيها، وتحليلها والبرهنة على الحلول التي ينتهون اليها، وهكذا فكأن تعريف الفلسفة لا يأخذ مكانه ولا يكون مفهوما إلا في المرحلة التي يفهم صاحبها هذه المشكلات والبراهين على حلولها، لأن تعريف الفلسفة أيضا يتوقف على نظرة كل مذهب فلسفي، وعلى سمة العصر الذي تنتمي إليه هذه المذاهب وعلى طبيعة المنهج الذي يتخذه كل من الاتجاهات الفلسفية المختلفة والمشكلات التي يجعلونها محورا لها.

1_1 الدلالة اللغوية:

من المعروف أن المعنى الاشتقاقي لكلمة الفلسفة يعود إلى لفظين يونانيين هما: **فيلو (philo)** وتعني محبة و **صوفيا (Sophia)** وتعني الحكمة فيكون المعنى أن الفلسفة هي محبة الحكمة ومن بين ما تشير إليه الحكمة في العربية: النظر الصحيح والعمل المتقن وصواب الأمر وسداده، ووضع الشيء في موضعه.

وقد زعم **هيرقليدس** وأيده **شيشرون** أن أول من استعملها _ أي لفظ الفلسفة_ الفيلسوف اليوناني **فيثاغورس phythagoras** (572_ 497ق.م) الذي وصف نفسه بالفيلسوف ، وقد قصد به أنه مجرد محب للحكمة، وليس ممن وصلوا إليها، وامتلكوا ناصيتها (أي ليس حكيما) . فالمعرفة الحقيقية لكل العالم إنما هي من نصيب الاله وحده أما الانسان فإن عليه أن يكتفي بمحبة الحكمة. ويذهب البعض الى أن نسبة وضع الكلمة إلى **فيثاغورس** أمر مشكوك فيه لما عرف عنه من غرور وإدعاء وبعد عن التواضع، ولهذا يرجح هؤلاء أن يكون **سقراط** أول من استعملها وبعده **أفلاطون**.

وبالطبع فإن الأصل اليوناني للفظة الذي شاع وامتد في القرن 6 ق.م في الحياة الثقافية والفكرية اليونانية جعل معظم مؤرخي الفلسفة يسلمون بأن نشأتها إنما كانت في بلاد اليونان، وأنها ظهرت هنالك على غير مثال سابق[1].

2. **الدلالة الاصطلاحية:**

لم يتفق الفلاسفة والمشتغلون بالفكر الفلسفي على معنى واحد وموحد لما يسمى الفلسفة، إذ أن تاريخ الفلسفة يبين بكل وضوح وجلاء اختلاف التعريفات والمفاهيم المقدمة لها، بل والأكثر من ذلك اننا في رجوعنا إلى تاريخ الفكر الفلسفي إنما نكتشف أن العصر الواحد من ذلك التاريخ إنما يتميز بتعدد واختلاف وحتى تناقص تعريفات الفلسفة ، و سنحاول أن نقدم بعض التعريفات الخاصة تبعا لعصور تاريخ التفكير الفلسفي:

أ/ عند اليونان:

يذهب ابو الفلسفة اليوناني **سقراط (socrat 470_399)** إلى رفض إعتبار الفلسفة بحثا في طبيعة الكون وعناصره ومكوناته[2] ، وإنما الفلسفة هي بحث في الانسان ودراسة لمشاكله وقضاياه، وحياته،

---

[1] تعد نشأة الفلسفة مسألة مثيرة للجدل بين مؤرخي الفلسفة، فهناك من دافع على أن الفلسفة إنما هي اختراع يوناني بحت فأطلقوا عليه ما يسمى (المعجزة اليونانية) ، وهذا بدعوة أن الفلسفة عند اليونان كانت تلتمس لذاتها، بمعنى أن العقل يتجه إلى الكشف عن الحقيقة بباعث من اللّذة العقلية، ومن غير أن تدفعه إلى ذلك أغراض عملية أو غايات دينية، وهذا النوع من المعرفة النزيهة قد نشأ في اليونان، أما في الشرق القديم فإن ممارسة التفكير الفلسفي كانت تقف من خلفه أغراض معينة كما هو الحال عند المصريين حينما استخدموا الرياضيات في مسح الأراضي، واستعانوا بالميكانيكا لإقامة الأهرامات من أجل عقيدة الخلود وحفظ جثة الفرعون، ، واستخدموا الكيمياء في تحنيط الجثث واستخراج العطور والألوان وغير ذلك، أما البابليون فقد أنشئوا علم الفلك العملي من أجل معرفة فصول الزراعة ومواسم التجارة. وعلى العموم فإن حجهة هؤلاء مبنية على أساس أن التفكير الفلسفي عند الشرق كان وسيلة من أجل غاية عملية أو غرض ديني أما عند اليونان فإن الفلسفة كانت غاية في ذاتها منزهة عن كل غرض.

ودراسة الأخلاق والسياسة، فالفلسفة في نظره هي محاولة لتبيان معاني الاشياء وحقائق الأمور بوضوح.

أما **افلاطون platon (427_ 347)** فإنه سار على نهج استاذه سقراط وجعل من معرفة الذات أهم نقطة في كل بحث فلسفي، ولكنه لم يلبث أن أرجع للفلسفة طابعها العام، إذ جعلها تستوعب الموضوعات الطبيعية، والنفس، والأخلاق، وما وراء الطبيعة، ونضيف هنا أن **أفلاطون** أصر على أن تكون الفلسفة أسلوبا في العيش وليست آليه من آليات التفكير والتأمل، يقول في محاورة المأدبة :"... **فالجاهل لايحب الحكمة ولا يرغب فيها، لأن ما ينقصه الجمال والخير والعلم يرضى عن نفسه كل الرضى، ولا يعتقد أنه لا ينقصه...**" ، وفي هذا السياق ميز لنا افلاطون بين الفلسفة والرياضيات، وبين الفلسفة والتاريخ.

في حين فضل المعلم الأول **أرسطو aristote** (384_322) أن يعرف الفلسفة بعديد التعريفات لعل أهمها أن الفلسفة: هي **" البحث في الوجود بما هو موجود"** اي علم المبادئ او العلل الاولى للوجود .

ب/ عند فلاسفة الاسلام:

عرفت الفلسفة في بلاد الاسلام بعد حركه الترجمة التي قامت بنقل التراث اليوناني إلى اللغة العربية ، وهنا سنورد البعض من تعريفات الفلسفة لدى الفلاسفة المسلمين منها:

1- **الكندي 805_ 873:** حيث عرف الفلسفة بالعديد من التعريفات نذكر منها:

_ صناعة الصناعات وحكمة الحكم.

_ معرفة الانسان نفسه تؤدي إلى معرفة العالم الأكبر أي المعرفة بالطبيعة والكون، ومن ثم ترتقي إلى معرفة الخالق.

إنها التشبه بأفعال الله تعالى بقدر طاقة الانسان.

2_ **الفارابي _874 950:** نظر الى الفلسفة باعتبارها **"الصناعة التي تؤدي إلى إصابة الحكمة لمن يتمتعون بجودة التمييز الناتجة عن جودة الذهن واقتناء الحكمة"**_ أي معرفة الحق على طريقة الفلاسفة_ .

ج/ عند فلاسفة العصر الحديث:

_ **رنيه ديكارت (1596_ 1650):** في مقدمة كتابه **"مبادئ الفلسفة"** يقول: " **إن الفلسفةكلها بمثابة شجرة جذورها الميتافيزيقا وجذعها الفيزياء، وغصونها المتفرعة عن هذا الجذع هي كل العلوم الأخرى وهي ترجع إلى ثلاثة رئيسية: هي الطب، والميكانيكا، والأخلاق، وأعني اسمى الأخلاق وأتمها، وهذه هي أعلى درجات الحكمة، وتفترض معرفة كاملة بسائر العلوم" .**

_ **فرانسيس بيكون (1561_ 1626)** : ويذهب إلى تعريفها من خلال" **أن الفلسفة تدعو الأفراد جانبا ولا تهتم بالإنطباعات الأولى التي تحدثها فينا، وإنما المعاني التي تستمد منها بالتجريد... وهذا هو دور العقل ومهمته"**، وفي هذا السياق نشير إلى أن **بيكون** لم يتردد في نقد الفلسفة التقليدية ومهاجمتها

---

(2) قبل مجيء الحكيم سقراط كان قد تركز البحث الفلسفي عند اليونان في محاولة الاجابة على أسئلة حول الطبيعة أو ما يدخل تحت اسم الكوسمولوجيا مما جعلها تحمل اسم الفلسفةه الطبيعية، حيث سعى رواد هذه الفلسفة واجتهدوا في البحث عن أصل الكون المادي، ومن أبرز فلاسفةه هذه الحقبة نذكر: **طاليس، انيكسيمندريس، انيكسيمانس ، هيرقليدس...الخ.**

وتحميلها أوزار الجمود العلمي والفقر العقلي، والعقم والعجز عن الإسهام الفاعل في رفاهه الإنسان وتقدمه وسعادته، وطالب من أجل ذلك بضرورة غصلاح منهج التفكير من خلال كتابه " **الأورجانون الجديد**".

د/ عند الفلاسفة المعاصرين:

مثلت الفلسفة المعاصرة نظرة جديدة[3] في التفكير الفلسفي من حيث المنهج والمنطلقات والوسائل والغايات، ومن بين أشكال الفلسفة المعاصرة نذكر العديد من الإتجاهات منها **الماركسية، والبرغسونية والوضعية المنطقية، والبراغماتية**...الخ.

1_ **الوضعية المنطقية:** وترى أن الفلسفة ليست البحث في حقيقة الوجود أو طبيعة المعرفة على نحو ما ذهب إليه إتباع الفلسفة التقليدية بل هي مجرد منهج للبحث، التحليل المنطقي للغة التي نستخدمها في حياتنا اليومية أو يصطنعها العلماء في مباحثهم العلمية، رغبة في ازالة اللبس والغموض الذي يعتري الأفكار وبيان عناصرها حتى تبدو واضحة وجلية.

2_ **البراغماتية:** الفلسفة عند هذا الإتجاه المعاصر ليست بحثا تأمليا في مختلف القضايا والموضوعات التقليدية، بل الفلسفة هي التطبيق العملي لمختلف الأفكار والتصورات التي ينتجها العقل البشري ثم فحص نتائج تلك

الأفكار، وبمعنى آخر فإن البراغماتية تعتبر أن الفكرة الصادقة والصحيحة هي ما يحقق لنا نتائج نفعية_ مفيدة والعكس صحيح_، وبغير هذا المعيار ستبقى أفكارنا مجرد تصورات نظرية لا نستطيع الحكم عليها.

- **_ تفسير تعقد مفهوم الفلسفة:**

من خلال ما تم تقديمه سابقا حول الدلالة الإصطلاحية لمفهوم الفلسفة، يمكن القول أن تعريف الفلسفة في حد ذاته يعد إشكالا فلسفيا، نظرا لغياب الإتفاق التاريخي والحاضر حول ذلك وبإعتبار أن السؤال الفلسفي يتسم بالديمومة والتواصل، وانعدام إمكانية الحسم في جوانبه وإجاباته، فإننا نصادف أن مؤرخي الفلسفة توصلوا إلى شبه إجماع حول أسباب صعوبة تعريف الفلسفة، من أهم هذه الأسباب ما يلي:

1_ **كثرة التعاريف** فقد إختلف الفلاسفة في تعريفها لأنها قابلة لأن تتحمل أكثر من دلالة واحدة وترفض أن تختزل في معنى أو مفهوم وحيد.

2_ **الطابع الشخصي للانتاج الفلسفي** حيث غالبا ما تأتي النتائج وحتى الأنساق الفلسفية معبره عن وجهة نظر أصحابها.

---

[3] يختلف الباحثون حول بداية الفسفة المعاصرة، ولكن أقرب رأي هو القائل بأن بدايتها كانت مع بداية القرن العشرين، والفلسفة المعاصرة هي في الحقيقة امتداد تاريخي للفلسفات السابقة، ولكنها تختلف عنها في محاولتها تقديم إجابات متطورة عن سابقاتها وبمعنى آخر إعادة صياغة الموضوعات القديمة وتركيبها من جديد بصورة تتفق وروح العصر من خلال مناهج جديدة يغلب عليها الطابع التحليلي_ العلمي بالإضافة إلى أنها تتميز بالتواصل والتفاعل في الأفكار، وتحطيم المذاهب والأبنية التي تدعي أنها توصلت إلى إكتشاف الحقيقة أنها تعبر عن آفاق جديدة من أجل المناقشة والجدل والتحاور والابتعاد عن الأفكار الجامدة والأحكام المطلقة.

3_ ميوعة (اتساع) موضوع الفلسفة وذلك لإهتمامها بمختلف القضايا والإشكاليات مهما كان نوعها وطبيعتها، فموضوعاتها منذ القديم استوعبت الوجود والمعرفة والقيم اللاهوت...الخ، وعليه فان شاسعه مسائل الفلسفه جعل من الصعوبه تحديد المعنى الدقيق لها[4].

4_ مستوى التقدم في العصر : فالفلسفة مرآة عصرها، ما يعني أنها تتأثر بمختلف الظروف والمؤثرات المحيطة بها وخاصة منها التأثير العلمي، إذ يذهب البعض إلى أن فلسفة بيرغسون الحيوية إنما نبعث من التقدم الهائل الذي حققته علوم الحياة (البيولوجيا) في النصف الثاني من القرن 19 والثلث الأول من القرن المنصرم وأن فلسفة ويليام جيمس البراغماتية وجون ديوي الآداتية ، إنما نشأتا في محيط التقدم التكنولوجي في الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر القرن 19 م والنصف الأول من القرن 20م.

[4] على العكس من العلوم فإن موضوعاتها محددة ودقيقة مما يجعل من السهولة تقديم تعريف واضح وصارم لكل فرع من فروعها، فإذا أردنا تعريف الرياضيات فإننا نقول أنها ذلك العلم العقلي المجرد الذي يهتم بدراسة المقادير القابلة للقياس من كم منفصل ومتصل (جبر وهندسة)، وهي علم قائم على مبدأ البرهنة والإستدلال.